العقاب

صفاته وسلالاته

أشد الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجاً، وهي خفيفة الجناح ثقيلة الطيران. والجمع أعقُب لأنها مؤنثة، وأفعُل بناء يختص به جمع الإناث، والكثير عقبان، وعقابين جمع الجمع؛ قال الشاعر «عقابين يوم الجمع تعلو وتسفل». وهناك عدة أنواع من العقبان منها اللموع أو العقاب الذهبي، والعقاب الملكي، وعقاب السهوب، أو عقاب البادية وغيرها.

وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى: وكنية العقاب أبو الأشيم، وأبو الحجاج، وأبو حسان، وأبو الدهر، وأبو الهيثم.

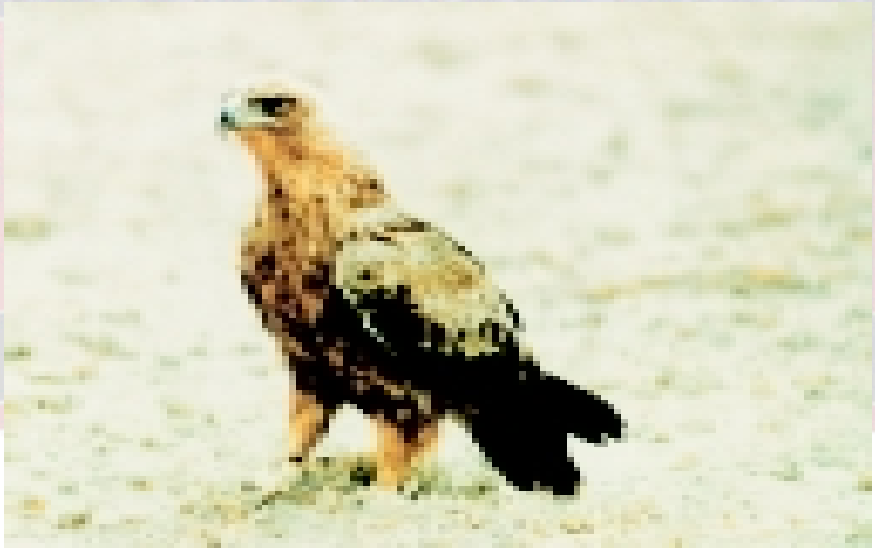

العقاب سيّد الطير

والأنثى: أم الحوار، وأم الشعو، وأم طلبة، وأم لوح، وأم الهيثم. والعرب تسمى العقاب الكاسر، ويقال لها الخدارية للونها الأسود. وهي مؤنثة اللفظ، وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى، وتميزه باسم الإشارة. وقال في الكامل: العقاب سيد الطير والنسر عريفها. قال ابن ظفر إن العقاب حاد البصر ولذلك قالت العرب: أبصر من عقاب. والأنثى منه تسمى لقوة. ونقل البطليوسي في الشرح قول الخليل إن اللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران. وهي نوعان: عقاب وزُمَّج. فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر، ومنها ما يأوي إلى الجبال وما يأوي إلى الصحارى وما يأوي إلى الفياض، وما يعيش حول المدن، ويقال إن ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوي شيئاً. وقال ابن خلكان في آخر ترجمة العماد الكاتب: ويقال إن العقاب جميعه أنثى (أي لا ذكور له من نوعه)، وإن الذي يسافده طير آخر من غير جنسه، وقيل إن الثعلب يسافده. وهذا القول الأخير الذي نقله الدميري شائع حتى وقتنا الحاضر، وهو قول غير صحيح فمن العقبان الذكر والأنثى، ولا يسافده أي حيوان آخر من غير نوعه. ولكنهم قالوا في المثل الشعبي «العقاب ما يُوَرِّث إلا عقاب» يعني تأصل عامل الوراثة.

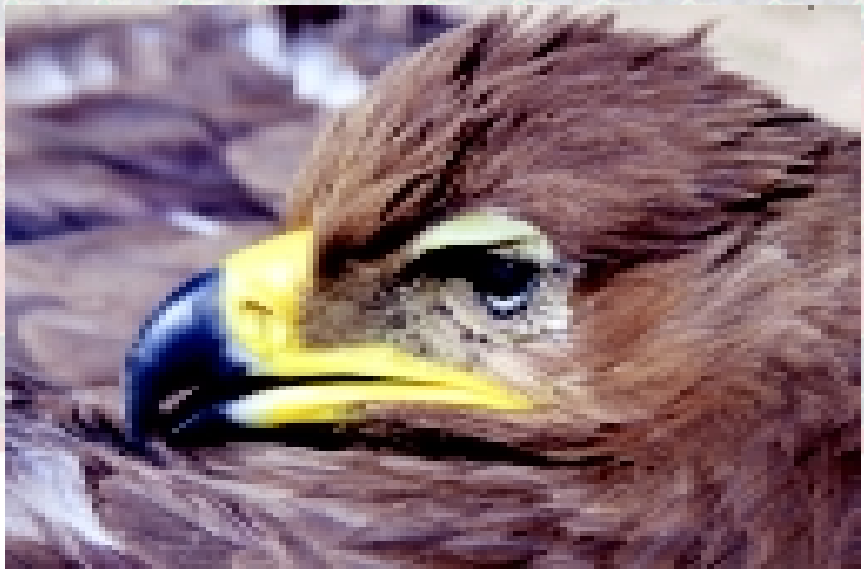

عقاب ذهبي

العقاب الأسود

والعـقاب الأنـثى أعـظم الجـوارح صيداً، وسيدة الطير عِزّة، وأكبرها بعد النسـر جسماً، قويـة المخالب مسرولـة الساقين (أي في ساقيها ريش). واسعة الأشداق ذات مـنسـر قصيـر أعقـف، يخالف منقارها الأعلى منقارها الأسفل. والعرب تسمي العقاب الكاسر إشارة إلى قوتها وقدرتها على الانقضاض، حيث يقال: كسر الطائر كسراً إذا ضم جناحيه يريد الـوقوع. وتسمـى العقاب عنـقاء مغرب، دعيت بذلك لأنها تأتي من مكان بعـيد، ولا يراد بـالعنـقاء هنا الـطائر الأسطوري المعروف. وتسمى لَقِوةَ أيضاً لأنها لا تسـاور شيئاً إلا أخذته. وقيل إنـها دعـيت بـذلك لـسعـة أشداقـها ولاعوجاج منـقارها. وتسمى صوْمَـعَة لأنها ترتفع دائماً على أشرف مكان تقدر عليه. ويقال عقاب نُسارية لأن في ريشها شبهاً مـن ريش النسر، وريش الـنسور تُراش به السهام، كما يقال لهـا السّهُوم والهيثم. ومن أسمـاء العقاب الصّرار، وهو يطلق على العقاب العظيمة الكدراء التي تـضرب إلى التوشيـم، والتوشيم خطـوط في قـوائم الحمـر. وتوصف العقاب بـأنها عجزاء إذا كان في ذنـبها ريشة بيضاء أو ريشتان، وعشراء إذا كان في جناحها قوادم بيـض، وعنقاء لأنها تُعنق بصيدها ثم ترسله، وفتخاء لما في جناحيها من اللين، وقنواء ولَوع لما فيها من سرعة الاختطاف وفرخ العقاب يسمى الناهِض والهيثم والتُّلج والتُّلْدَة والتُّلْد.

ويتصف النجيب من العقبان بوثاقة الخلق، وثبوت الأركان، وحمرة اللون، وغؤور الـعين بالحـماليق، وأن تـكون صقعاء، بيضاء أعلى الرأس، عجزاء لا سيما ما كان منها من أرض سُرْت، وهي مدينة عـلى ساحل البحـر الأبيض بين برقة وطرابلس في ليبيا، أو جبال المغرب. وهي من أسرع الطير طيـراناً، فقد قيل

أن عقاباً حملت كف عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، المسمى بيعسوب قريش، المقتول يوم الجمل بالكوفة، فألقتها بمكة فأخذت فوجد بها حلقة فعرف أنها كفه، وأرخ ذلك الوقت، فتبين أنها ألقتها يوم الجمل الذي قتل فيه (وقد يكون في هذه الحكاية بعض المبالغة إلا أنها غير مستبعدة). وأول من صادها أهل المغرب، فلما نظرت الروم إلى شدة أمرها وإفراط سلاحها قال حكماؤهم: هذا لا يفي خيره بشره (القلقشندي١٩٨٧، ج ١: ٥٨).

قال في المصايد والمطارد «وهي من أعظم الجوارح، وليس في الطير بعد النسر أعظم منها، وأصل لونها السواد. ومنها سوداء دجوجية، وخدارية أي سوداء، والبقعاء، التي يخالط بياضها سواد، والشقراء التي في رأسها بياض. ويقال لذكر العقاب الغَرَن.

قال غطريف بن قدامة الغساني صاحب صيد هشام بن عبدالملك: وأول من لعب بالعقاب أهل المغرب، فلما عرفوا أسرارها نفذوها إلى ملك الروم، فاستدعى جميع حكمائه فقال لهم: انظروا في قوة هذا الطير وعظم سلاحه، كيف تجب تربيته، وتعرفوا أسراره في صيده وتعليمه، وكيف ينبغي أن يكون فأجابوا جميعاً بأن هذا الطائر دون سائر أجناسه، كالأسد في سائر الوحوش، وكما أن الأسد ملك، كذلك هذا ملك بين سائر سباع الطير. وعند العداوة والغضب، كل الأجناس عنده من سائر الحيوان، على اختلاف أنواعه واحد، لقوة غضبه وشدة بأسه، فهو لا يستعظم الآدمي ولا غيره من الحيوان.

ومما يحكى في ذلك أن قيصر ملك الروم أهدى كسرى ملك الفرس عقاباً وكتب إليه: إنها تعمل أكثر من عمل الصقور. فأمر بها كسرى فأرسلت على ظبي فاقتنصته. فأعجبه ما رأى منها فانصرف وجَوَّعها ليصيد بها، فوثبت على صبي له فقتلته. فقال كسرى: إن قيصر قد جعل بيننا وبينه دماً ثائراً بغير جيش. ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر نمراً وكتب إليه: إني قد بعثت إليك فهداً يقتل الظباء وأمثالها من الوحش، وكتم ما صنعت العقاب. فأعجب قيصر حسن النمر ووافق صفته ما وصف من الفهد، وغفل عنه فافترس بعض فتيانه فقال: صادنا كسرى.

ومن شأنها أنها لا تطلب شيئاً من الوحش الذي تصيده ولا تقرب إنساناً أبداً خوفاً من أن يطلب صيدها. ولا

تزال مرقبة على مرقب عال، وحالما ترى سباع الطير صادت شيئاً انقضت عليها فتهرب وتترك الصيد لها، لذلك قالوا في المثل الشعبي «أحسد من العقاب»؛ ذلك أن العقاب يخطف صيد غيره متى رآه. فإن جاعت لم يمتنع عليها الذئب في صيدها، وربما اغتالت البزاة فقتلتها، وبعضها من آكلات الحيوانات الميتة والجيف. ومن خصائص العقاب أنها أشد إخفاء لفراخها من سائر الطير (القلقشندي ١٩٨٧، ج ١: ٦٠).

والعقاب تصيد الظباء والثعالب والأرانب. ولا تعجز عن صيد صغار حمر الوحش. وطريق صيدها إياها أنها إذا نظرته رمت بنفسها في الماء حتى يبتل جناحاها، ثم تخرج فتقع على التراب فتحمل منه ومن الرمل ما يعلق بهما، ثم تطير طيراناً ثقيلاً حتى تقع على هامته، فتصفق على عينيه بجناحيها فيمتلئان تراباً من ذلك التراب الذي علق بجناحيها، فلا تستطيع المسير بعد ذلك فيداركها القانص فيأخذها (القلقشندي١٩٨٧، ج١: ٥٩).

ويزعم الدميري أن العقاب إذا صادت شيئاً لا تحمله على الفور إلى مكانها، بل تنقله من موضع إلى موضع. ولا تقعد إلا على الأماكن المرتفعة، وإذا صادت الأرنب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار.

ولا تعاني العقاب الصيد إلا في الفرط، أي عند توافر الصيد، ولكنها تسلب كل صَيود صيده. وإذا اجتمع صاحب الصقرٍ وصاحب الشاهين وصاحب البازي وصاحب العقاب لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العقاب. والعقاب طويلة العمر، وهي لا تحمل على نفسها في الكسب. وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت كانت بقرب كل شيء. وتتغدى بالعراق وتتعشى باليمن (كناية عن طول المسافة التي تقطعها في طيرانها خلال اليوم الواحد). وريشها الذي عليها هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف. وهي أبصر خلق الله. قيل لبشر أخي الشاعر بشار بن برد: لو خيَّرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان، أيَّ شيء كنت تتمنى أن تكون؟ قال: عقاب، قيل: ولمَ تمنيت

عقاب تطارد أرنباً برياً

ذلك؟ قال: لأنها تبيت حيث لا ينالـها سبع ذو أربـع وتحيد عنها سـباع الطير (الجاحظ ١٩٨٨، ج٣: ١٨٢).

وعن استخدام العرب أنواع العقبان في صيد الأرنب، قال ابن أبـي الطيب الباخرزي في مخطوطة له «فلما فرغنا، وبذلنا الوسع واستفرغنا، ثار عن الكمين أرنب مجدول كالسير، مستعار الأذن من العير، أربد الأهاب، طائش كالنار فـي الالتهاب. فألقى العقابي عقاباً، يوسع الوحش عقابـاً، فلحق في الهواء على رسمـه، ثم نزل عـلى الأرنب كـاسراً كاسـمه، وانـحدر إليـه ومعـه الحرب

ولـلـه فـتـخـاء الجـنـاحـين لـقـوة
تـوسـد فـرخـيـهـا لحـوم الأرانـب

والويل، كجلمود صخـر حطه السيل، وسحب على الأرنب نصول مخلبه، وما استمر سحبه، حتى قضى الأرنب نحبه» (التميمي ١٩٩٢: ١٠ و١٢).

تدريبه على الصيد

العقاب على الرغم من عزتها وشدة بأسها طائر قابل للترويض يؤدبه البيازرة فيتأدب، ويضرَّونه على الصيد فيضرى، ويزجرونه فينزجر، ويربونه في البيوت، ويتـخذونه لـلصيـد فيألف ويـأنس. والمختار من العقبان ما ضُرِّي ربيباً داجناً، أما الوحش فهو عـسر الألفة، صعب الرياضة. وعقـبان المغرب أصلب من عقبان المشرق وجهاً وأقوى منها صيداً. وسبيل تضرية العقاب الوحشي أن يرفق به غاية الرفق ويطعم إطعاماً جيداً إلى أن يألـف ويأنـس، ثم يضـرى على الصيد. والأصل هو أن تراض العقبان على الظـباء لأنها تهوى صيـدها، ثم تليها الأرانب فالكراكي.

وتكون تضرية العـقاب على صيد الكراكي بأن تقدم لها ميتـة حتى تعتاد رؤيتها وتأكل من جيفتها، ولا يزال بها مربيها كذلك حتى تعرف صورتها وتثبت هيئتها من أي جهة رأتها. ثم يخرج بها إلى الفلاة ويطلـقها على كركي، فإذا

صادته ذُبح بين رجليها وأشبعت منه. ثم تُراح يوماً ويُصاد بها يوماً آخر. وهكذا إلى أن تضرى على الصيد وتمرن عليه، وتغير لها المواضع في كل يوم حتى لا تألف مكاناً بعينه (الباشا ١٩٨٣: ١٣٧-١٣٨).

ذكره في مأثور القول والأدب

ورد ذكر العقاب كثيراً في كتب العرب وفي شعرهم ونثرهم وأمثالهم. من ذلك ما أورده القزويني في كتابه عجائب المخلوقات في ذكر الأحجار أن حجر العقاب حجر يشبه نوى التمرهندي إذ حُرِّك يسمع منه صوت. كما ذكر أيضاً أنه إذا قصد الإنسان عش العقاب ترمي إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع عنها، فكأنها عرفت أن قصده إياه لخاصيته. فمن خواصه أنه إذا علِّق على من بها عسر الولادة تضع سريعاً. ومن جعلت تحت لسانه فإنه يغلب الخصم في المقاولة ويبقى مقضي الحاجة. وهذا من المزاعم التي لا أصل لها وذكر الدميري أن العقاب يهرب من الصبر وإذا شمه غُشي عليه. وريش العقاب إذا دُخِّن به البيت ماتت حيَّاته، ومرارته تنفع من الظلمة والماء الذي في العينين اكتحالاً.

وقال الدميري عن العقاب إن رؤيته في المنام لمن هو في حرب تدل على النصر والظفر على الأعداء، لأنها كانت راية النبي ﷺ. والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده. ومن رأى أنه ملك عقاباً أو نسراً وتحكم عليه نال عزاً وسلطاناً ونصرة على عدوه وعاش عمراً طويلاً. فإن كان الرائي من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفرداً لا يأوي إلى أحد، وإن كان ملكاً اصطلح مع الأعداء وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال، لأن أرياشها السهام. وهي أموال أيضاً، وصغارها أولاد زِنَا. وقال المقدسي: من رأى عقاباً ضربه بمخالبه ناله شدة في ماله. وأكل لحم العقاب يدل على الحرص. وربما دلت رؤيته على رجل صاحب حرب لا يأمنه قريب ولا بعيد. وإذا رؤي على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت. ومن ركب عقاباً في منامه وكان فقيراً نال خيراً، وإن كان غنياً أو من أشراف الناس فإنه يموت، لأنهم في الزمان المتقدم كانوا يصورون الميت من الأغنياء والأمراء على صورة عقاب. ومن رأت من النساء كأنها ولدت عقاباً اتصل ولدها بالملك في خدمة أو صراع والله أعلم.

ويضيف الدميري أن العقاب متى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها عيناً صافية بأرض الهند على رأس جبل فتغمسها فيها ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها. ثم تغوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة كما كانت. فسبحان القادر على كل شيء الملهم كل نفس هداها. وهذا أيضاً لا سند له من العلم وإنما هي مزاعم متوارثة.

ويضيف الدميري قائلاً أيضاً قال التوحيدي «ومن عجيب ما أُلْهمته العقاب أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ. وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها والطيور إلا قلوبها»، ويدل لهذا قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

ومنه قول طرفة بن العبد:

كأن قلوب الطير في قعر عشها
نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

ومن شأن العقاب أن جناحها لا يزال يخفق. قال عروة بن حزام:

لقد تركت عفراء قلبي كأنه
جناح عقاب دائم الخفقان

وفي الحقيقة أن العقاب كثير خفقان الجناح في طيره، إلا أنه يمكنه الانزلاق مع تيارات الهواء وجناحاه مبسوطتان دون خفقان.

ومما ورد عن العقاب في الأمثال قولهم «أبصر من عقابِ ملاع»، وملاع اسم للصحراء، وإنما قالوا ذلك لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال، ويقال أيضاً عقاب ملاع وهي السريعة، لأن الملع السرعة، ومنه يقال «ناقة ملوع ومليع»، وذكر أبو عمرو بن العلاء أن العرب تقول «أنت أخف يداً من عقيب ملاع»، وهي عقاب تصطاد العصافير والجرذان. وقالت العرب أيضاً «أحزم من فرخ عقاب». قال الجاحظ «العقاب تتخذ أوكارها في عرض الجبال، وربما كان الجبل عموداً، فلو تحرك إذا طلب الطُّعْم (أي فرخها)، وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما، أو زاد

جاء في المثل «أبصر من عقابِ ملاع»

كأن قللوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحَشف البالي

في حركته شيئاً من موضع مجثمه، لهوى من رأس الجبل إلى الحضيض، فهو يعرف، مع صغره وضعفه وقلة تجربته، أن الصواب له في ترك الحركة، فحزم أمره على ألا يتحرك». ومما قالته العرب أيضاً عن العقاب «أطير من عقاب»، «أسمع من فرخ عقاب»، «أمنع من عقاب الجو» ، «أمنع من عقاب»، «وأعز من عقاب الجو» (الميداني١٩٧٢: ١٥).

«وقد لاحظ الشعراء قوة فتكها بفرائسها، وطول عمرها وقسوتها وصلابتها، وسرعة تهاويها من مرقبها، ومطالبتها الشديدة للفريسة، وشدة خفقانها عند الطيران، ووقفتها الشامخة على قمم الجبال، وهي تنفض الندى المتساقط على ريشها المتراكم الكثيف، وعلاقتها مع فراخها وحنوها عليها، فصوروا ذلك كله في أشعارهم» (أبوسويلم ١٩٨٣: ١٧٧).

من ذلك ما عرفه بشار بن برد الشاعر من اهتزاز خوافي العقاب أثناء الطيران وشدة اضطرابها عندما ترتفع في الجو، فشبَّه اضطراب قلبه وخفقانه من العشق المبرح باضطراب هذه الخوافي واهتزازها فقال:

العقاب شديدة الفتك بفرائسها

كـأن قـلـبـــي بـبـقـايـا الـهـــوى
مـعـــلـق بـين خـوافـــي عـقـاب

وقال أيضاً:

فجرت دمـوعي من تذكـر ما مضى
وكـأن قـلـبـي فـي جـنـاح عقـاب

ويشبه امرؤ القيس فرسه بعقاب قد لاح لها في أرض قفـرة ذئب، وكانت تشرف عليه، لأنـها اتخذت لها مرقبة في قمة جبل عال، وعنـدما قربت منه وصارت فوقه، انصـبت عليه من علو شاهق، كأنها دلو مملوءة تقطعت أسبابها، فانهارت بكل ثقل وقوة، وكأن العقاب الشقاء قد حل بالذئب. ثم يستطرد في رسم الصورة لهذا الـصراع حتى يدرك نهايته. فالعقاب قد انقضت من السماء والذئـب في الأرض وهـو مطـلوب. وعندما أدركته العقاب أنشبت مـخالبها فيه، واستطاع الذئب أن يتخلص منها، فزاغ من تحـتها بعد ما أصـيب جنبه. وشرع يلوذ بالصخور التي تبللت بالماء، ولكـنهـا استنـجدت بتـراب الأرض، فأخذت تعفره به فكان في لسانه وشدقيه

آثاره. ونجا الذئب في النهاية من الموت بعد أن كان منه قيد أنملة، وكتبت له الحياة وبقي يومه مختبئاً منها والرعب يملأ قلبه يترقب الليل عساه يستره فينجيه منها:

كأنها حين فاض الماءُ واحتفلت
صقعاء لاح لها بالقفرة الذيب
فأبصرت شخصه من فوق مرقبه
ودون موقعها منه شناخيب
فأقبلت نحوه في الجو كاسرة
يحثها من هويّ الريح تصويب
صبَّتْ عليه وما تنصب من أمم
أن الشقاء على الأشقين مصبوب
كالدلو ثبْت عراها وهي مثقلة
إذ خانها وَذْم منها وتكريب
لا كالذي في هواء الجو طالبه
ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
كالبز والريح في مرآهما عجب
ما في اجتهاد على الإصرار تعييب
فأدركته فنالته مخالبها
فانسل من تحتها والسدف معقوب
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت
منها ومنه على الصخر الشآبيب
ثم استغاثت بمتن الأرض تعفره
وباللسان وبالشدقين تتريب
فأخطأته المنايا قيد أنملة
ولا تحرز إلاّ وهو مكتوب
يظل منحجراً منها يراقبها
ويرقب الليل إن الليل محجوب

صقعاء: عقاب، شناخيب: رؤوس الجبال، كاسرة: منقضة، توصيب: ارتفاع، من أمم: من قرب، الوذم: السيور بين آذان الدلو والعراقي، تكريب: انحل كربها..

ويكرر امرؤ القيس هذه الصورة كلما أعاد تشبيه فرسه بالعقاب. فتراه يخيل إليه وهو على فرسه كأنه على عقاب لينة الجناحين، سريعة الاختطاف، حاذقة بالصيد وقد اعتادته، فهي تتخطف ذكور الأرانب الراتعة في البرية ضحى، وتتخفى منها الثعالب، فلقد عرفتها كاسرة شديدة البطش، وتجمعت في وكرها قلوب الطير، منها الرطب الذي اصطيد حديثاً، ومنها اليابس الذي اصطادته من أمد بعيد، فكأن القلوب العناب والحشف الجاف:

كأني بفتخاء الجناحين لقوة
صيود من العقبان طأطأت شملال
تخطف خزان الأنيعم بالضحى
وقد جحرت منها ثعالب أورال
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وعلى هذا النحو يحدثنا عبيد بن الأبرص عن عقاب أخرى كثيرة الصيد،

عقاب ذهبية تفترس ثعلباً

فتجمعت في وكرها قلوب طرائدها وجفت. كانت تلك العقاب على نشز تشبه عجوزاً قد ثكلت أبناءها. وفي يوم شديد برده كان الجليد يتحدر من ريشها أبصرت من بعيد ثعلباً يعدو مسرعاً تفصله عنها فلاة قفراء مجدبة. فنفضت ريشها وحركت جناحيها وطارت لتلحق به. وشعر الثعلب بالخطر المحدق به فتملكه الفزع فرفع ذنبه، وأخذ يبعث صوتاً ملئه الخوف، يقلب عينيه فَرَقاً. لكنها أدركته ورمته وظل الثعلب صيداً أصابه الكرب والشدة، إذ طرحته أرضاً وفتكت به. وكانت الأرض صلبة فكدحت وجهه ونالته بجروح. وظل المسكين يصيح ومخلبها في جنبه بعدما ثقبت صدره:

كأنها لقوة طلوب
تيبس في وكرها القلوب
باقت على إرم عذوب
كأنها شيخة رقوب

فأصبحت في غداة قر
يسقط عن ريشها الضريب
فأبصرت ثعلباً سريعاً
ودونه سبسب حديب
فنفضت ريشها وولت
وهي من نهضة قريب
فاشتال وارتاع من حسيس
وفعله يفعل المذؤوب
فنهضت نحوه حثيثا
وحردت حردة تسيب
فدب من خلفها دبيبا
والعين حملاقها مقلوب
فأدركته فطرحته
والصيد من تحتها مكروب
فجدلته فطرحته
فكدحت وجهه الجبوب
يضغو ومخلبها في دفه
لابد حيزومه منقوب

لقوة: عقاب، أرم: جبل، رقوب: لا يعيش لها ولد، قر: برد، الضريب: الجليد، سبسب: أرض بعيدة مستوية، أشتال: رفع ذنبه فزعاً، حسيس: صوت خفي، المذؤوب: الذي روّعه الذئب، جدله: طرحه، كدحت: جرحت، الجبوب: الأرض، يضغو: يصيح، الدف: الجنب، الحيزوم: الصدر.

وقال دريد بن الصمة:

كأني وبزي فوق فتخاء لقوة
لها ناهض في وكرها لا تجانبه
فباتت عليه ينفض الطل ريشها
تراقب ليلاً ما تغور كواكبه

البز: السلاح، الفتخاء واللقوة: العقاب، الناهض: فرخ العقاب. وقال أبو بكر محمد بن داوود الأصفهاني:

وما يغنى العقاب عيان صيد
إذا كان العقاب بلا جناح

وقال آخر:

كلقوة مرقب ترعى صقورا
لتأخذ ما حوت أيدي الصقور

وقال ذو الرمة:

فلما تجلى الليل عنها وأسفرت
تنفض حسرى عن أحص مناكبه
رأت ثعلباً من حرة فهوت له
إلى حرة والموت عجلان كاربه
فخر قتيلاً واستمر بسحره
وبالقلب يدمي أنفه وترائبه

وقال أبو خراش الهذلي:

كأني إذ عدوا ضمنت بزّي
من العقبان خائتة طلوبا
جريمة ناهض في رأس نيق
ترى لعظام ما جمعت صليبا

الجريمة هنا: الكاسب، يقال: فلان جريمة أهله أي كاسبهم، والعقاب جريمة فرخها، والناهض: فرخ العقاب، والنيق

(بالكسر) أرفع موضع في الجبل، والصليب: الورك

وقال السيد الحميري:

فخر من السماء له عقاب
من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فحلق ثم أهوى
به للأرض من دون السحاب

وقال صخر الغى الهذلي:

وله فتخاء الجناحين لقوة
توسد فرخيها لحوم الأرانب

وقال المتنبي

يهز الجيش حولك جانبيه
كما نفضت جناحيها العقاب

وقال السموأل بن عاديا:

طمراً تزلق العقبان عنه
إذا ما نابني ضيم أبيت

وقال الناشئ الأكبر عن صيد الظباء بالعقاب:

فعن لنا من جانب السفح ربربٌ
على سنن تستن فيه الجآذر
فجلى وحلت عقدة السير فانتحى
لأولها إذ أمكنته الأواخر
يحث جناحيه على حر وجهه
كما فصلت فوق الخدود المعاجر
فما تم رجع الطرف حتى رأيتها
مصرعة تهوي إليها الخناجر

جاء في المثل «أمنع من عقاب»

عن: بدا، الربرب: القطيع من الظباء، تستن: تسير في طريقها، المعاجر: جمع معجر وهو ما تلوثه المرأة حول رأسها.

الزمَّج

عده الدميري أحد نوعي العقاب وهو دون العقاب يصيد به الملوك. وهو يقبل التعليم ولكن ببطء. وأهل البيزرة يعدونه من خفاف الجوارح، وذلك معروف في عينه وحركته وشدة وثبه، ويصفونه بالغدر وقلة الوفاء والألفة لكثافة طبعه. ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض، والمحمود من خلقه أن يكون لونه أحمر. قال الجواليقي: الزمج جنس من الطير يصاد به، وقال أبو حاتم: إنه ذكر العقاب والجمع الزمامج. وقال الليث: الزمج طائر دون العقاب، حمرته غالبة تسميه العجم دوبرادران. وترجمته أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه، فهو مركب من دو: اثنان، وبرادر: أخ.

وقيل إن أجود أصناف الزمج ما كان أحمر الريش أسود العينين متوسط الحجم، أما الكبير فما وجد فيه فاره أبداً. وهو يجمع شيئاً من خصائص البازي وخصائص العقاب. فيتلقف الطائر في الجو كما يتلقفه البازي، ويصيد على وجه الأرض كما يصيد العقاب.

زمَّج الماء

عقاب السمك

والعامة تقلب لفظ الزمَّج فتقول فيه جُمَّز، وقد يقال أيضاً زُمجَّة و زمجى. وهو غير النوع المعروف بزمج الماء، وقد عده صاحب المصايد والمطارد صنفاً من الجوارح قائماً بذاته. أما الجاحظ في الحيوان، والقلقشندي في صبح الأعشى، والدميري في حياة الحيوان، والنويري في نهاية الأرب فصنفوه من العقاب. أما ابن سيده في المخصص، وابن منظور في لسان العرب، فجعلاه ذكر العقبان، وذهب هذا المذهب صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب.

والزمج جارح من جوارح الفرس، فهم أول من ضراه على الصيد واصطاد به. ذلك أن أزدشير أحد ملوكهم هو الذي عرف شأن الزمج، حيث قايس بينه وبين البازي وأدرك ما بينهما من شَبَه، فضراه وصاد به. والعجم تنتقص من قدر الصائد الذي لا يصيد بالزمج وتصفه بقلة الخبرة في الصيد. وألوان الزمج هي الأحمر والأصفر والإسبهرج، وفيها ما يضرب إلى السواد. ويحمد البيازرة من الزمج ما ضري داجناً، فهو يكون أكثر دربة وأوفى ذكاء وقدرة. أما ما قرنص وحشياً فهم لا يحمدونه. ويضرى الزمج كما تضرى العقاب، غير أن الزمجة أرق، وسبيلها أن يرفق بها إلى أن تجرد وتطلق للصيد، وهي تصيد الكركي بلا كبير عناء (الباشا ١٩٨٣: ١٤٠).

وهناك نوع آخر من الزمج يدعى زمَّج الماء وهو الذي يسمى بمصر النورس، أبيض اللون في حجم الحمام أو أكبر منه قليلاً، يعلو في الجو ثم يزج بنفسه في الماء، ويختلس منه السمك. وهو لا يقع على الجيف، وحكمه حل الأكل بخلاف بقية الجوارح. وقد أورد الباشا وهماً في كتابه الصيد عند العرب (الباشا ١٩٧٤: ١٤٠-١٤١) أن اليابانيين يستخدمون هذا الجارح في صيد السمك، فهم يربطونه بخيط متين يشدون نهايته إلى مكان ثابت في المركب، ثم يطلقونه فيسقط على السمك ويمسكه بمنقاره، ثم يعود إلى المركب فيأخذ صاحبه السمكة من فمه، ثم يدفعه إلى البحر ثانية، وهكذا دواليك حتى يستكفي، ثم يطعمه جزءاً مما اصطاده. والحقيقة أن ما يستخدمه اليابانيون في صيد الأسماك طائر من نوع آخر بعيد عن نوع زمج الماء أو النورس، وهو طائر الغاق أو غراب البحر الأسود. وهناك نوع من غراب

البحر، هو غراب البحر السوقطري، يوجد منتشراً بكثافة عددية كبيرة على الخليج العربي وجزره. وحريٌّ بالصيادين العرب أن يستخدموه لصيد السمك، لأنه صياد بارع، يعتبر وسيلة عالية الكفاءة قليلة المجهود في صيد الأسماك البحرية.

وذكر الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى قصة تدل على فطنة الزمج وشرفه وعلو همته، وقد حكاها عن القاضي أبي علي التنوخي، قال: حدثني أبو الفتح البصروي، قال: حدثني بعض أهل الموصل ممن كان مغرماً بالصيد وطلب الجوارح، قال: إن صياداً من أهل أرمينية وتلك النواحي حدثه، قال: خرجت إلى الصحراء يوماً فنصبت شبكتي وجعلت فيها طائر مستأنساً، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني. وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شيء من البزاة أو الصقور أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته. فلما كان قريباً من الظهر، وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة. فلما رأتها نفرت وترجلت قريباً منها فجلست على الأرض ساعة، فإذا بعقاب جائز، فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعاً، وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمج قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزايله إلى أن صادته وجاءت به فنسرته وصار لحماً وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها. فلما فنى اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها. فزاف ثانية فضربته أشد من الأولى. فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك. ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت. فتعجبت من نفورها من الشبكة وقلت هي كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة. ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم أنها منعت العقاب من سفادها، وأنها أطعمته من صيدها، ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألح عليها. وطمعت في أن أصيدها لأصيد بها ما لا قيمة له. فبت ليلتي في ذلك الكوخ. فلما كان من الغد فإذا هي قد ترجلت قريباً من الشبكة في مثل ذلك الوقت فنزل إليها عقاب فجلس معها. وعَنَّ لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثاني كما جرت مع العقاب الأول سواء بلا اختلاف البتة. وطارت فزاد تعجبي وحرصي عليها، وبت ليلتي الثانية في الكوخ. فلما كان في اليوم الثالث فإذا بها قد ترجلت على الصورة والرسم. وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الحلة وحشي الريش قد ترجل. فما مضت ساعة حتى

عَنَّ لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحيه ضربة كاد يقتلها. ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها. ولم يذق منه شيئاً حتى أكلت الزمجة واستوفت، ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفنى. فزاف عليها فزافت له ولم تمنعه. فزاف الثانية فركبها فمكنته حتى سفدها ثم طارا معاً.

وعن خواص الزمج «إدمان أكل لحمه ينفع من خفقان القلب، ومرارته إذا جُعلت في الأكحال، نفعت من الغشاوة وظلمة البصر نفعاً بليغاً، وزبله يزيل الكلف والنمش طلاءً».

ومما ورد في الشعر العربي عن الزمج قول أبي الفرج البغاء في وصفه:

يارب سرب آمن لم يزعج
غاديته قبل الصباح الأبلج
بزمج أدلق حوش أهوج
مضبر المنكب صلب المنسج
ذي قصب عبل أصم مدمج
وجؤجؤ كالجوشن المدرج
وعنق سام طويل أعوج
ومنسر أقنى فسيح مسرج
منخرق المدخل رحب المخرج
ومقلة تشف عن فيروزج
ناظرة من لهب مؤجج
وهامة كالحجر المدملج
ومخلب كالمعول المعوج

أدلق: سريع الانقضاض، والحوش: القوي، والمضبر: المكتنز، والعبل: الضخم الغليظ، والجؤجؤ: الصدر، والجوشن: الدرع. وقال الناشئ الأكبر:

أعددت للندمان صيد زمج
عبل السراة ذي قوام عسلج
كأنه في قرطق مدبج
بين ذناباه وبين المنسج
ريش كمثل الحبك المزبرج
يدف فعل العائم المدلج
حجن خطاطيف بكفي أهوج
تظنها مخلوقة من عوسج
ذي منسر كقرن ظبي أدعج
وساق هقل خاضب مضرج
أطلقته في يوم دجن مبهج
فرحت بشر بعيش رهوج

السراة: الظهر، وعسلج: الغصن الناعم، والحبك: من الشعر المتجعد، والمزبرج: المزين بالوشى أو الذهب، والحجن: جمع الأحجن، وهو الأعوج، والهقل: الظليم وهو ذكر النعام، والخاضب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، والرهوج: السهل اللين.